ظاهرة العربيزية
(الأسباب والحلول)

د. ثائر يوسف عودة

• مقدمة:

لغة الشباب، أم لغة العصر، أم لغة الحضارة، أم لغة العولمة، أم الاستعراض؟؟! إنه عالم من الحروف والكلمات وسط بيئة تضجّ بأحدث التقنيات: الـ (آي بود)، والـ (آي باد) و(البلاك بيري)، (البلاي ستايشن) والإنترنت والذي لا يُستخدم فيه حرف عربي واحد، فمن الأمور المؤلمة والمخزية أحياناً، ما نراه جميعاً بوضوح شيوع ظاهرة كتابة الرسائل القصيرة العربية، بل وبعض الرسائل عبر البريد الإلكتروني باستخدام الحروف الأجنبية بحيث نجد أن الجملة والرسالة كاملة عربية النطق ولكنها أجنبية الحروف، والعجيب أن الشباب باتوا يتقنون سرعة كتابتها وسرعة قراءتها بصورة ملفتة، معتبرين ذلك نوعاً من التحضر والرقي، وعند توجيههم لخطورة ذلك يتعللون بحجج واهية أبسطها عدم وجود لوحة مفاتيح عربية لديهم، وهذا عذر أقبح من ذنب، فلو كانوا صادقين لحرصوا على اقتناء اللوحة المقصودة. أدركتُ، وأنا أقرأ حول هذه الظاهرة وما أُثير حولها من جدل واسع، أنّ التهييج العاطفي والإثارة المسكونة بالعبارات العاطفية لا أكثر لا يفيد في شيء أبداً؛ فأجيالُ اليوم هي أجيال المنطق والعقل والإقناع ! أقنعْه حتى يتبع ما تراه الحق، أو ما يكون الحق حقيقة، وقد جربتُ هذه الطريقة ونجحتُ إلى حدّ كبير. وقبل الغوص في التحليل ينبغي أن نفرّق بين الظاهرة والتقليعة حين التطرّق إلى "العربيزية" ؛ إذ أنّ الظاهرة تعبّر عن سلوك اجتماعي تم التواطؤ عليه من أفراد كثيرين، وعدّوه أمراً طبيعياً بحيث تصبح الظاهرة والتي هي في الأساس حدثٌ خارج السياق أو المألوف أمراً طبيعياً. أما التقليعة فهي حالة تدخل إلى مجتمع دون زلزلة أصوله وثوابته بالضرورة فهي لا تُلزم متّبعها على التخلي عن شيء آخر، على الأقل في هذا السياق اللغوي؛ وبناء على ما سبق، نستخلص أنّ العربيزية مزيج من التقليعة والظاهرة، وهذا ما يجعل من هذه القضية محوراً يجب البتّ في نقاشه دون التهاون بالإتيان على الخلفيات التاريخية والاجتماعية واللغوية معاً، فهناك محور ثلاثي خطير ما إن يضرب في مجتمع حتى تتزلزل ثوابت المجتمع بالكامل ومن الداخل على أيدي أبنائها دون الحاجة لتواجد الأعداء أساساً؛ لذا فإنّ "العربيزية" تدكّ حصون القلاع الثلاث التي تحمي المجتمع، وهي: (الدين – المجتمع – اللغة) وأيّ منها يُعدّ حصناً منيعاً في وجه الغزوات الثقافية التي تهدف إلى زعزعة الأصول والهوية، حتى يسهل اجتثاث الدين واللغة من المجتمع؛ فيصبح مجتمعاً رخواً لا يقوى أمام دخول أيّ ثقافة وافدة مهما كانت خلفيتها أو نواياها، وهذا الأمر أخطر بكثير مما يتصوره صغارنا وكبارنا من خلف أزرار لوحة المفاتيح أو حتى الهاتف النقال حين يكتبون لي بكل سماجة "keefak" بدلاً من "كيفك؟" !!

كتابة العربية بحروف لاتينية ليس بالبساطة التي نتخيلها والتي تنحصر بتحويل لوحة المفاتيح متنقلين بين الـ alt+shift بل بالانتقال من هوية ثابتة واثقة إلى هوية مهزوزة مخترقة تبني أساسها في الماء! إنّ اللغة والدين عوامل أساسية ومحورية في التأثير في الهوية، وهذه قضية مفروغ منها لدى علماء اللسانيات/اللغويات حيث يناقش علماء اللغويات الاجتماعية Sociolinguistics قضية الهوية أو الانتماء واللغة باهتمام بالغ لتعلقهما الوثيق ببعضهما؛ والذي يمسُّ مجتمعنا بشكل خطير جداً.

تعريفها:

"العربيزية" كلمة مركبة تختصر كلمتين وهي العربي والإنجليزي لتصبح لدينا كلمة تبدو جذابة لأول وهلة ولا نعلم أنّ وراء الأكمة ما وراءها، فهي ظاهرة لغوية باتت تهدد اللغة العربية الأم، وهي لغة "الشات" المحادثات التي يستخدمها الفتيان عبر وسائل التواصل الإلكتروني، وهي ليست عربية ولا إنجليزية، بل هي

مزيج من اللغتين معاً.

وهي حسب ويكيبيديا: ((أبجدية غير محددة القواعد مستحدثة غير رسمية ظهرت منذ بضع سنوات، يستخدمها البعض للتواصل عبر الدردشة على الإنترنت باللغة العربية أو بلهجاتها، وتُنطق هذه اللغة مثل العربية، إلا أنّ الحروف المستخدمة في الكتابة هي الحروف اللاتينية والأرقام بطريقة تشبة الشيفرة. ويستخدمها البعض في الكتابة عبر الإنترنت أو رسائل المحمول)).

ولا يمكن تصنيف العربيزية على أنها لغة، فهي أدنى من ذلك بكثير أو بمعنى أدق لا تحمل مقوّمات اللغة، لكننا نستطيع القول بأنها وسيلة تواصل تكتب بحروف إنجليزية ولكن تلفظ لفظاً عربياً، ظهرت في بداية الألفية الحالية بين فئة من الشباب تزامناً مع انتشار الهواتف المحمولة، إذ لم تكن الهواتف المحمولة مزودة باللغة العربية مما اضطر الشباب وخصوصاً المبتعثين العرب لاستخدامها وسيلة اتصال فيما بينهم وغالباً ما تستخدم في الدردشات بين الشباب.

- أسبابها:

يمكن الحديث عن جملة من الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة في مطلع الألفية الحالية، وهذه الأسباب بعضها موضوعي، له علاقة مباشرة بانتشار التقنية واستحداثها بعيداً عن البيئة العربية، ومنها أسباب تتعلق بالفرد العربي الذي يعاني من ضعف عام في استخدام لغته الأم، واعتقاده أن اللغة الإنجليزية أرقى وأكثر حضارة. وسنتناول هذين النوعين من الأسباب بشيء من التفصيل، فيما يلي.

أ. أسباب التقنية: يرجح البعض نشأتها إلى أوائل الألفية الجديدة من خلال شبكات المحادثة المنقولة بالإنترنت، ونظم التبادل الفوري المعتمدة في الغالب على برامج لا تتيح سوى الحروف اللاتينية للكتابة، مما أجبر الكثير من العرب على استخدام الحروف اللاتينية، وكانت شبكات الدردشة هذه قد ظهرت قبل ظهور الهاتف المحمول والرسائل القصيرة في البلدان العربية، حيث لم تكن الحروف العربية متاحة في الأجهزة الموصولة على شبكة الإنترنت، وقد انتشر استخدام تلك الشبكات لدى الطلبة العرب المبتعثين كطريقة تواصل أوفر مادياً من المكالمات الهاتفية. غير أنّ السبب الرئيسي لانتشار هذا النوع من الأبجدية اقترن مع ظهور خدمة الهاتف المحمول في المنطقة العربية، وذلك لأنّ خدمة الرسائل القصيرة (SMS) تتيح للأبجدية اللاتينية حروفاً أكثر في الرسالة الواحدة عنها في نظيرتها العربية، مما دفع بعض الذين لا يتقنون الإنجليزية إلى الكتابة بالحروف اللاتينية ولكن بصيغة عربية. وسرعان ما انتشرت بين المستخدمين لتوفير أكبر كم من الحروف كما فضّلها المستخدمون الذين اعتادوا على استخدام الأبجدية اللاتينية لأنها تحلّ مشكلة عدم دعم بعض الأجهزة للأبجدية العربية.

ب. أسباب ذاتية: إذا كانت دواعي استخدام هذه الظاهرة تقنياً قد تلاشت تقريباً؛ كون الأجهزة الحديثة حالياً كلها تقريباً تدعم اللغة العربية وتجعلها اللغة الأولى في تطبيقاتها، وللتذكير فإنّ أكبر سوق في العالم لتسويق التقنيات الحديثة والهواتف الذكية هي منطقتنا العربية. أقول إذا كانت تلك الدواعي قد زالت، فالسؤال المثير للعجب هو: لماذا ما تزال فئة من شبابنا تستخدم هذا النوع في الكتابة؟ هل لضعف عام لديهم باللغة العربية، خاصة في مجال الكتابة، أرقى مهارات إتقان أي لغة من اللغات؟ أم أنه شعور الدونية تجاه اللغة الأخرى، الإنجليزية تحديداً؟ إذ يعتقد جزء من الشباب أن استخدام الإنجليزية حتى ولو كانت بهذه الطريقة نوعاً من الحضارة والرقي؛ فالجهل والدونية سببان رئيسيان من أسباب استخدام هذه الظاهرة، والعرب تقول : مَن جهل شيئاً عاداه، ولو أن هذا الفتى العربي أتقن اللغة العربية لتفاجأ أنه يدخل وسط حديقة جميلة جداً، اسمها "حديقة اللغة العربية"، تتراقص وتتطاير فيها الحروف بكل الألوان، وتتجمع لتشكل كلمات لها معنى، عندها سيتحوّل من كارهٍ للغة العربية إلى رسولٍ للغة العربية يتحدث باسمها في الإعلام والمحافل.

ج. أسباب عامة: ثمة أسباب عامة تتعلق بضعف تعليم اللغة العربية ونفور الطلبة منها، وأعتقد أن في مناهجنا ظُلم كبير للغتنا، ومن طرف كثيرٍ من أساتذتنا، والتعليم العقيم لها وعدمٍ الاهتمام بها، والاعتماد على التلقين، وكأنَ الطالب مُجرد آلة ناسخة، وقد أجمع التربويون على أنّ التعليم بالتلقين يمنع الفرد من اكتساب مهارة جديدة. ويضاف إلى هذه الأسباب أن اللغة العربية لا تحظى

من طرف القائمين على التعليم في كثير من الدول العربية، بالدعم الذي تستحقه، مقارنة باللغة الإنجليزية الأكثر استخداماً في حياتنا التعليمية بل والاجتماعية، لقد كان القدماء يعتبرون الوقف بالسكون على أواخر الكلمات لحناً، وأنه خطر يتهدد الفصحى، فما الذي نفعله بلغتنا الفصحى الجميلة إذا شاع هذا الاستخدام؟ وأين هي قدوة الجيل عندما يلقي أساتذتهم الدروس بالعامية؟

- أخطارها / آثارها:

إنّ أخطر ما في هذه الظاهرة أنها نقلت الكلام المحكي (اللهجة العامية) من المستوى الشفهي إلى المستوى الكتابي، ونحن إذا كنا نشكو من اللهجات العامية إلا أننا كنا نشعر بنوع من الاطمئنان على الفصحى؛ كون العامية مازالت في المستوى الشفاهي، ولكن بسبب برامج وسائل التواصل الاجتماعي تحول المحكي إلى مكتوب، حتى بات معظم الشباب يظن بأن هذه اللهجة هي العربية الصحيحة، ولم يعد يميّز بين الفصيح والقبيح، وزاد من خطورة ظاهرة العربيزية في أنها تجاوزت تثبيت المحكي كتابة، إلى الانتقال إلى لغة/ لهجة أخرى غريبة وهجينة.

ومعلوم أنّ الفصاحة هي الإبانة عن المعنى وإظهاره، والفصاحة من صفة الكلام، وتتعلق باللفظ؛ لأنها مرتبطة بآلة البيان) اللسان) وشرطها إقامة الحروف، ولذلك لا يُسمى (الألثغ والتمتام(فصيحين لنقص آلتهما عن إقامة الحروف. فقد يكون المنطوق غير فصيح، أما المكتوب فهو فصيح سليم، وما نخشاه أن تنتقل العجمة واللكنة من المنطوق إلى المكتوب، من (الشفوي (إلى (الكتابي) فالذي يبقى هو (المكتوب) وهو ينتقل من جيل إلى آخر، ولأن الفصاحة متعلقة باللفظ، وشرطها إقامة الحروف، فإن التخاطب بالفصحى يكون ظاهراً بيناً للمستمعين، ولا خلاف عليه بحال من الأحوال، وهنا وجه الخلاف مع العامية، فاللهجات العامية تكون ظاهرة بينة لفئة محدودة تتكلم بها، ولكنها ليست ظاهرة بينة لباقي الفئات، ودائماً كانت الفصحى ظاهرة بينة للجميع لا خلاف فيها، فجاء بها (القرآن الكريم) لأنها مفهومة للعرب على اختلاف قبائلهم، ولأنهم أجمعوا عليها على اختلاف لهجاتهم التي نشأوا عليها، واتخذوها لغتهم الأدبية، وبها نظموا شعرهم وحبَّروا نثرهم، واللغة المحكية (العامية) على خلاف ذلك، فقد تعدّدت واختلفت بين البلدان العربية، ثمّ تعدّدت واختلفت ضمن القطر الواحد.

يمكننا القول بأن هذه القضية ليست جديدة، وتقسم إلى فرعين :

- اللغة المحكية (العامية): وهذه تعايشت مع الفصحى المكتوبة والمنطوقة على مرّ الزمن ولم تشكل خطراً كبيراً على الفصحى.
- العامية المكتوبة: وهذه التي نخشى منها؛ لأنها تمثل الخطر الحقيقي على الفصحى)المنطوقة والمكتوبة)؛ لأن (المكتوب) هو الأبقى، وهو الذي يحفظ ذاكرة الأمة: الثقافية، والدينية، والتاريخية، والاجتماعية. وعندما ننتقل بالكتابة من الفصحى إلى العامية، سيبدأ اضمحلال العربية الفصحى، عربية القرآن الكريم، والأدب، والتاريخ، والتراث، فتحدث القطيعة بين الأمة وتاريخها، ومن ثم مستقبلها، إذ أنها ستفقد الجانب الأهم من هويتها: العربية الفصحى. ولم يكن يُخْشى على العربية طالما كان المكتوب باللغة الفصحى.

وفي الوقت الذي تحرص فيه القوميات المختلفة التي كانت تنضوي في لغتها تحت ظلال العربية، والتي تسعى اليوم ليس للحصول على استقلالها السياسي فقط، وإنما إلى التمكين للغاتهم المهجورة، باصطناع أبجدية مكتوبة بالحرف اللاتيني، والتأصيل لهذه اللغات التي كانت لغات (منطوقة) فقط، في هذا الوقت تجري محاولات إهدار اللغة العربية والانتقال بها من أصالتها (الفصحى المكتوبة والمنطوقة) إلى المستحدث (العامية المكتوبة) إن استخدام العامية في مجال (المنطوق) يجعل التواصل صعباً، ويكاد يكون مفقوداً، أحياناً، عندما يتحدث أبناء الأمة بلهجاتهم في الجلسات العادية، فما بالكم إذا انتقلت هذه العامية إلى (المكتوب)؟ انظر إلى هذا المثال على سبيل التوضيح: إذا أردت أن تكتب جملة: «ذهبنا إلى صلاة الجمعة، واشترينا بعض الأشياء، وخطك جميل كصديقتك» فتكتب بـ«العربيزية» كما يلي:

«r٧na ٣la ٩alat aljm٣a، O ishtarina b٣٩' al٢ashya٢، O ٥٦ek jameel kasde٨k»..

إنّ استبدال بعض الأحرف بأرقام كاستبدال حرف الحاء بالرقم ٧ بالإنجليزية والهمزة ٢ والعين ٣ لنكتب كلمة معقول بهذا الشكل العجيب "m٣٢ool " وغيرها من التعبيرات التي شاع استعمالها

في كافة الأوساط والطبقات. ويرى هؤلاء الفتية أن العربيزية أسهل حيث الكتابة باللغة العربية أو الإنجليزية يتطلب منك الالتزام بقواعد اللغة والكتابة بطريقة سليمة مع وضع كل كلمة في موضعها الصحيح، بينما هذه اللغة لا تتطلب هذا الجهد، فهي تتحرر من القواعد ولا تتطلب التفكير بالقاعدة في أثناء الكتابة، فهي لغة سريعة تنسجم برأيهم مع سرعة هذا العصر، ولذلك يفضلها المراهقون لغةً للتواصل في الرسائل الإلكترونية، وفي التحدث عبر الشبكة العنكبوتية (التشات)، وفي كتابة الرسائل على الهواتف النقالة (المسج)، ويخبرك المراهق أيضًا أن «العربيزية» هي لغة أصدقائي وأصبح من التخلف أن تكتب باللغة العربية، والإنجليزية تتطلب الالتزام بقواعدها، ولو كتبتُ باللغة العربية فماذا سيقول عني أصدقائي، سيقولون إنني متخلف! لقد أصبحت الكتابة باللغة العربية ضرْباً من التخلّف والرجعية، وكأنها وصمة عار لدى بعض أبناء الجيل الصاعد! والسؤال هنا: مَن الذي أوصل أبناءنا إلى هذا المستوى من الاعتقاد الفكري؟ والأدهى والأمر أنك تجد أن بعضاً من الراشدين أصبحوا يتعاملون بهذه اللغة المحرّفة بدعوى أنها لغة العصر والتحضّر! صحيح أن بعض علماء النمو واللغة يتوقعون أن من خصائص المراهقين محاولة الوصول إلى لغة خاصة بهم للتواصل، فهذا ممكن ولكن أن تصبح هذه لغة الناشئة من هذا الجيل ولغة بعض الراشدين، وأن تكون تحريفاً للغة العربية ولجمالها، فهذا من العجب العجاب ومما يستدعي التساؤل: إلى أين وصل بنا الحال- نحن العرب؟ ألهذا الحدّ نترك اللغة العربية التي هي أشرف اللغات التي اختارها ربّ البشرية وخالق الكون لتكون لغة كلامه العظيم، والمفضلة على سائر لغات البشرية، ولغة للخلود في الدنيا والآخرة؟ إنّ الأمر يستدعي لحظة توقف وتأمل ومراجعة للنفس، حيث الابتعاد عن لغتنا العربية يعني الابتعاد عن هويتنا العربية التي تميزنا من المحيط إلى الخليج، ويعني الابتعاد عن الثقة بأنفسنا بوصفنا عرباً، وبأننا يمكن أن نصلح لقيادة البشرية وللسير في مقدمة ركب الحضارة.

- اللغة ووسائل الاتصال الحديثة

كانت الاتصال يتم سابقاً بين الناس من خلال وسائط مكتوبة، عبر الرسائل الورقية، وهذه تكون مكتوبة غالباً بالفصحى، فجاء الهاتف الجوال أو (النقال) وأصبح وسيلة أساسية من وسائل الاتصال الحديثة، وغدت رسائله أداة تعبير وتخاطب مكتوب، يعبّر الناس من خلالها عما يريدون. فما الذي فعلته هذه الرسائل؟ لقد كتبت الحروف العربية على مفاتيح الجوال، والمشكلة أننا نقلنا اللهجة العامية المحكية من حيز المنطوق إلى حيز المكتوب في رسائل الجوال، وأرى أن العربية الفصحى ما تزال بخير ما لم ننقل لهجاتنا العامية من مجال (المحكي = المنطوق) إلى مجال (المكتوب) وهذا ما تفعله رسائل الجوال؛ لأن الجوال هو وسيلة اتصال حكي بالدرجة الأولى، وأنا أحكي بالعامية مع أصدقائي عبر الجوال، ومعظم الناس في حياتهم العادية يحكون بالعامية، وتعودوا ذلك، وإننا عندما نريد كتابة رسالة جوال، نتخيل أننا نتكلم مع من نراسله عبر الجوال، انتقلت عادة الحكي بالعامية إلى عادة الكتابة بالعامية، وكانت الرسائل النصية امتداداً لعادة الحكي العامية، فرسائل الجوال رسائل (حكي)، ومما ساعد أيضاً على انتشار الكتابة بالعامية في رسائل الجوال أن نصوص هذه الرسائل ليست للتوثيق، ولا يتم الاحتفاظ بها غالباً، فلا خوف من أن يراها أحد، فيكشف أخطاءنا، فهي رسائل لأصدقائنا وأحبائنا ستنتهي فاعليتها وتزول سريعاً بعد أن أدّت غايتها، وسوف تُمحى بلحظة، وكأنها لم تكن، هذه الرسائل لا تحمل طابع البقاء الطويل، ومن ثم إعادة قراءتها والنظر فيها؛ ممّا يتيح إمكانية خضوعها للنقد، واكتشاف الأخطاء اللغوية والإملائية وخلاف ذلك، إنها نصوص مؤقتة تزول بانتهاء مهمتها، أمّا في حالة النصوص الورقية، فمن منا لا يحتفظ برسائل كانت تصله من أبنائه أو أصدقائه، وكانت غالباً نصوصاً شعورية جميلة كتبت بالعربية الفصحى؛ من هنا يأتي تهديد رسائل الجوال للفصحى، فهي مظهر من مظاهر الحكي بالعامية، بينما الكتابة الورقية مظهر من مظاهر الفصحى.

وفي الكتابة الورقية تتشارك اليد مع العين في نقل الجملة من حيِّز التفكير إلى الحيِّز المادي)الكتابة) واليد هي التي تتحكم في كتابة الحرف من خلال مهارة الكتابة بالفصحى التي أتقنتُها في مراحل تعليمي المتعاقبة، فجاءت الكتابة بالضغط على مفتاح الجوال أو الحاسب الآلي، فأخذ جزءاً من آلية الكتابة، وعطّل جانباً مما تعلمته من مهارة الكتابة بالفصحى،

وسوف يؤدي إلى ضعفه تدريجياً، وسيصبح الاعتماد أكبر على هذه المفاتيح، وهذا إضرار بالفصحى.إنّ عملية التنقل بين مفاتيح الجوال، والزمن الذي أستغرقه للوصول إلى الحرف الذي أريده للتعبير بالفصحى، وللعجلة التي أصبحنا نعيش فيها، تجعلني ألجأ لأقرب حرف يعبر عما أريد بسهولة وسرعة، وصحيح أن حروف الجوال عربية، ولكن على المفتاح الواحد يوجد ثلاثة أحرف أو أربعة وأحياناً خمسة، وكتابة كلمة)شفتك مبارح) أسهل من كتابة (رأيتك أمس)؛ لأننا نحتاج للتوصل إلى كتابة الهمزة وقتاً يساوي كتابة جميع الحروف الباقية، وذلك وفق الطريقة التي كتب بها تسلسل الهمزات في مفاتيح الجوال، إنها قضية اختصار المساحة، فحجم الجوال لا يتسع لإفراد مفتاح لكل حرف من أبجدية العربية، ونحن بداعي السرعة لا نتريث حتى نكتب رسائلنا بالطريقة الصحيحة، أين هي العلاقات الإعرابية في هذه الكتابة؟ وأين هي الكتابة اللغوية والإملائية السليمة؟ لقد ذهبت رسائل الجوال المكتوبة باللغة المحكية بكل هذا، مثلما ذهبت بها أشعار دعاة الكتابة باللغة المحكية من قبل.

لقد ساد الضعف اللغوي الكتابي، وضعفت مهارات التعبير الكلامي والتواصل الحواري بالاعتماد أكثر فأكثر على الجوالات والحواسيب الشخصية، حيث يعمد الطلبة إلى كتابة أبحاثهم

بواسطة الحاسوب الذي يقوم بتصويب الأخطاء اللغوية والإملائية، فلا يظهر الضعف اللغوي والإملائي إلا عندما يؤدي الطلبة اختباراتهم، وهذه تكون ورقية غالباً، وتكون الكتابة بخط الطالب، فتكشف حجم الضعف اللغوي والقدرة على التعبير الكتابي، بينما كانت كتابة الأبحاث بخط الطالب تتيح تصويب الأخطاء التي يقع فيها، ويتم تحسين كتابته وتعبيره، إن استخدام الحاسوب في كتابة أبحاث الطلبة يضلل الطالب والأستاذ معاً ولا يسمح باكتشاف الأخطاء وتصويبها. إن (الهواتف الذكية) قلّصت مساحة الكلام بين الناس في المنزل وأماكن العمل، فأصبح التواصل بين الإنسان وهذه الأداة الذكية، وليس بين الإنسان والإنسان من خلال لغة الكلام والتخاطب باللغة العربية، وإنما عبر لمس الشاشة والضغط على مفاتيحها وأصبح ذلك ظاهرة في المنازل والمكاتب، فتعطلت لغة الكلام العربي، وغازلَ الجوال أنفس الناس، وسكتت الألسن ونطقت مفاتيح الأجهزة الذكية، وأصبح الحديث صمتاً بين الذات والذات، وبالأحرى بين الجوال والذات، والناس في طريقهم إلى الصمت والخرس، عندما يجلسون مع بعضهم، وتم تفعيل لغة الجوال على حساب اللغة العربية المنطوقة والمكتوبة، العامية والفصحى على حد سواء، فتقلص استخدام اللغة العربية المنطوقة، ليس الفصحى فقط، وإنما العامية أيضاً، وهذا التقليص سيكون له آثار سلبية، ليس فقط على مستوى العلاقات والتواصل الاجتماعي، وإنما على المستوى اللغوي، وقد شكت لي إحدى زميلات العمل، أنه نتيجة انشغال الأخوة والأب والأم بهذا الهاتف الذكي، وتراجع تبادل الكلام بينهم، وضعف التواصل اللغوي، بسبب استحواذ الجوال على هذا التواصل، فقد تأخر النطق والكلام عند ابنتها حتى سن الرابعة.

- التوصيات:

إنّ من أنجع الحلول لهذه المشكلة يبدأ من أنفسنا ومن ذواتنا ومن قناعتنا بأننا أفضل أمّة لقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرونَ بالمعروف وتنهونَ عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠). ويبدأ أيضاً من تربيتنا لأبنائنا حيث نشعرهم بالاعتزاز بلغتنا العربية، لا كما هو الحال باعتقادنا أن التحدّث باللغة الإنجليزية هو دليل التقدم والتحضّر، وأنّ التكلّم باللغة العربية هو نوع من التأخر، فلابد من أن نبدأ نحن الآباء والأمهات بتغيير أنفسنا وقناعاتنا، وإن كنّا نسمح بدراسة اللغة الإنجليزية لأبنائنا ونشجعهم على تعلمها لا يعني أن نتخلى عن لغتنا الأصيلة وأن نعتز بالإنجليزية على حساب العربية، فتمسكنا باللغة العربية يعني التمسك بهويتنا العربية وبديننا الإسلامي العظيم وبثقافتنا الأصيلة وبماضينا المجيد، وبأصلنا العربي الذي انتقى الله تعالى منه نبينا الكريم محمداً -صلى الله عليه وسلم-، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «أحبوا العرب فإن نبيّكم عربي...»، وقال الله تعالى في مدح اللغة العربية لغة رسول الله: ﴿لسانُ الذي يلحدون إليه أعجميٌّ وهذا لسان عربيٌّ مبين﴾(النحل: ١٠٣).

ومن هنا ومن هذا السياق؛ فإننا نرى أنه لابد للجهات الرسمية من ممارسة دورها في هذا الشأن بحيث تصدر تشريعات رسمية لا تسمح للفضائيات بإضعاف اللغة العربية الفصحى، وألا يسمح لها باستخدام اللهجة العامية بأي حال من الأحوال؛ لأن دَور الإعلام كبير وخطير في التأثير على عقول الشباب والناشئة

والأطفال، ولابد من الاستغناء عن جميع المذيعين ومقدمي البرامج الذين لا يتقنون اللغة العربية الفصحى، واستبدالهم بمن يتقنونها ويعتزون بها، وكذلك إلزام المعلمين في المدارس والجامعات بالتحدّث باللغة العربية الفصحى مع الطلبة في الحصص الصفية، وتشجيع طلبتهم على ذلك وليس في حصص اللغة العربية والتربية الإسلامية فقط، بل في حصص الرياضيات والعلوم والفنون والرياضات وجميع المواد الدراسية، إلى أن ترجع اللغة العربية إلى قوتها ورونقها بين أبنائها.

ويجب العمل كذلك على تشجيع المسابقات باللغة العربية ووضع الحوافز لذلك، وتشجيع دراسة تخصص اللغة العربية في الجامعات العربية، حيث أصبحنا نرى العزوف عنه إلى تخصصات أكثر جذباً في مسمياتها وأكثر ترويجاً لها كالتصميم وإدارة الأعمال وتقنية المعلومات؛ فقد غدا عدد مَن يَدرُس اللغة العربية في أي جامعة عربية لا يتجاوز أصابع اليدين في كثير من الأحيان، وأصبحت الجامعات التي تُدرّس تخصص اللغة العربية قليلة ونادرة وخاصة فيما بين الجامعات غير الحكومية، ولابد من جعل اللغة العربية الفصحى لغة الجامعات والحديث في المحاضرات الجامعية، مع العمل على تدريس مساقات في اللغة العربية لجميع التخصصات وجعلها من متطلبات التخرج؛ لأنّ تعلم اللغة العربية من الواجبات على المسلم من مثل تعلم علم التجويد لإتقان تلاوة القرآن الكريم، فتعلمها لا يقل شأناً عن تعلم علم التجويد لما لها من تأثير على المعنى. ولابد من الإشارة إلى جهد كبير قامت به مؤسسة الفكر العربي ومؤسسة محمد بن راشد، في محاولة للحدّ من هذه الظاهرة، وهي حملة "بالعربي"، التي أقيمت في شهر فبراير ٢٠١٢ بتنظيم من مؤسسة الفكر العربي في مشروعها: "الإسهام في تطوير تعلُّم وتعليم اللغة العربية"، الذي يهدف إلى التشجيع على القراءة باللغة العربية عند الأطفال والناشئة العرب، بالإضافة على تشجيع الكتّاب ودور النشر للاهتمام بالفئات العمرية الصغيرة، وصناعة الكتاب الجيد.

وعلى الآباء تشجيع أبنائهم على إتقان اللغة العربية والقراءة بها لكتب ومجلات وموضوعات، بل محاورة الأبناء باللغة الفصحى أحياناً وتعزيز الافتخار والاعتزاز بها في ذات أبنائهم، فالعودة إلى اللغة العربية هو أحد أسباب قوتنا وهويتنا، فلتكن العربية لغة الحديث اليومي والتدريس والعمل والتواصل؛ كي نرفع شأننا بين الأمم والشعوب، ونقلل من هذا التدهور في المنعة والغربة والبُعد عن الهوية العربية والثقافية، ونمنع شبابنا من الانحراف عن جادة الهوية لأجل الانتقال إلى التمسك باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو «العربيزية» وتفضيلها.

إننا نخشى على الفصحى عندما تنتشر الكتابة بالعامية على أيدي الناشئة، وأن تكون الكتابة بالجوال هي بداية التعود على هذه الكتابة، ونخشى عليها أن يضعف مستوى تدريسها في التعليم العام، فيضعف مستوى تدريسها في التعليم العالي، ونخشى عليها عندما تصبح العاميات المختلفة لغة التدريس في الجامعات والمعاهد. إن أخطر ما في الأمر أن يستغلق فهم القرآن والسنة على الجيل، وأن تحدث القطيعة بينه وبين تراثه المجيد، وأن يغدو مستقبله مرهوناً للغات أخرى.

- خاتمة:

يمكن أن نقرّر بكل اطمئنان بأنّ هذه الظاهرة مجرد تقليعة تماماً كـ تقليعات كثيرة تغزو المجتمع ثم تواصل طريقها نحو الانحسار حتى تنغمر تماماً لنتشرب تقليعة أخرى، والدليل هو انحسار نسبة مستخدميها يوماً بعد يوم، بعد انتهاء موجة التقليد الأعمى بلا سبب ولا دافع سوى أنها "حركة" أو "ستايل" أو "شيء حلو"!! ولكن الإنجاز الأهم في هذه المهمة البسيطة أن كثيراً من الشباب والطلبة عاهدوني على أن لا يكتبوا بالـ "عربيزي" وأن يكونوا قدوة للآخرين، بأن يكتبوا الرسائل الشخصية والمعروف على برنامج "الماسنجر" بالعربية التي نحبها ونريد لها الانتشار لا الانحسار، وقد أخبرني بعضهم بأنه على الصعيد الشخصي على الأقل يحارب هذه الظاهرة السخيفة باتخاذ إجراءات صارمة لا تقبل اللين ولا التغاضي بالوقوف على كلّ من يكتب العربية بحروف لاتينية بإجباره على كتابتها بحروف عربية، وإلا فلا يلزمني أن أعيش في وسط انهزامي يجرّني للأسفل بدلاً من أن أجرّه إلى الأعلى!.. وهذه أهم نتيجة خرجتُ بها من دراستي المتواضعة هذه التي أتعمق فيها باستمرار على طريقتي لأخاطب العقول لا العواطف.

- المراجع:

١. موسوعة ويكيبيديا

٢. http://www.mexat.com/vb/showthread.php?t=١٠٥١٨٣٦

٣. العربيزية: لغة العصر أم ضياع هوية

http://www.alwaei.com/site/index.php?cID=٨٧

٤. العربيزية: مفردات غريبة تهدد اللغة العربية والهوية الوظنية

http://www.alkhaleej.ae/alkhaleej/page/١da٢cfca١-a٤-١٢e١٩٨-٨٩٣٦-٦٥d٠d٠٦cb٦e

٥. العربيزي: اللغة الشبابية تنتشر بطريقة جنونية

http://www.mexat.com/vb/showthread.php?t=١٠٥١٨٣٦

٦. عربيزي: التكنولوجيا تقتل لغة الضاد

http://www.albayan.ae/paths/life/١,١٦٣٠٩٨٦-١٥-٠٤-٢٠١٢

٧. العربيزي: موضة أم انهزامية

https://hamdah٨٧.wordpress.com/٢٧/٠٦/٢٠١٠/arabic-using-latin-alphabet/